

أضواء البيان

@ 287 @ قرآن . .

الأول : أن المعنى : من كان من الكفرة الحسدة له صلى الله عليه وسلم ، يظن أن لن ينصره الله : أي أن لن ينصر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم { فَلَا يَمْدُدُ بِسَبَبٍ } أي بحبل إلى السماء : أي سماء بيته ، والمراد به السقف : لأن العرب تسمى كل ما علاك سماء كما قال : % (وقد يسمى سماء كل مرتفع % وإنما الفضل حيث الشمس والقمر) % .
كما أوضحناه في سورة الحجر . .

والمعنى : فليعقد رأس الحبل في خشبة السقف { ثُمَّ لِيَقْطَعْ } أي ليختنق بالحبل ، فيشده في عنقه ، ويتدلى مع الحبل المعلق في السقف حتى يموت ، وإنما أطلق القطع على الاختناق ، لأن الاختناق يقطع النفس بسبب حبس مجاريه ، ولذا قيل للبهر وهو تتابع النفس : قطع ، فلينظر إذا اختنق { هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ } أي هل يذهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، في الدنيا والآخرة . .
والمعنى : لا يذهب ذلك الذي فعله ذلك الكافر الحاسد ما يغيظه ويغضبه من نصر الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . .

قال الزمخشري : وسمي فعله كيداً ، لأنه وضعه موضع الكيد ، حيث لم يقدر على غيره ، أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكذب به محسوده ، إنما كاد به نفسه ، والمراد : ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه الله منه . .
وحاصل هذا القول : أن الله يقول لحاسديه صلى الله عليه وسلم ، الذين يتربصون به الدوائر ، ويظنون أن ربه لن ينصره : موتوا بغيظكم ، فهو ناصرهم لا محالة على رغم أنوفكم ، وممن قال بهذا القول : مجاهد ، وقتادة ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو الجوزاء ، وغيرهم . كما نقله عنهم ابن كثير ، وهو أظهرها عندي . .

ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن : قوله تعالى . { وَإِذَا خَلَاوُاْ عَصَاؤُاْ عَلَيْهِمُْ الْآسُ زَامِلٌ مِّنَ الْغَيْظِ قُلُومُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ } . .

الوجه الثاني : أن المعنى : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، والحال أن النصر يأتيه صلى الله عليه وسلم من السماء ، فليمدد بسبب إلى السماء فيرتقي بذلك السبب ، حتى يصعد إلى السماء ، فيقطع نزول الوحي من السماء ، فيمنع النصر عنه صلى الله عليه وسلم . .

والمعنى : أنه وإن غاظه نصر الله لنبيه . فليس له حيلة ، ولا قدرة على منع النصر ،

